الأنماط التحويلية في اللغة العربية
" ديوان حسان بن ثابت نموذجًا"

الباحثة/ غادة حسن عبد الظاهر حسن

توطئة :

إن اللغة العربية هي أعظم اللغات فهي لغة القرآن الكريم ؛ فهي إحدى اللغات التي مرّ عليها ما يقارب سبعة عشر قرنًا دون تغيير في منظوماتها الصوتية والصرفية والنحوية ، فيطوعها اللغويون بما يواكب دلالات العصر ، دون أن تزعزع قواعدها الأساسية.

وخلال هذا العمر الطويل للغتنا الحبيبة ، عكف الكثير من العلماء العرب على خدمة اللغة العربية ؛ بداية من النص القرآني الأجل إلى نصوص الأدب بكافة عصورها ، فحظيت لغتنا باعتناء الكثير مثل: أئمة النحاة واللغة كالخليل بن أحمد ، وسيبويه ، والزمخشري ، والجرجاني وغيرهم ممن أفنوا عمرهم في خدمة اللغة ، مما نتج عنهم إرثٌ لغويٌ ضخمٌ ، والمتتبع لذلك الأثر سيجد لا محالة آثارًا لمعظم النظريات اللغوية الحديثة .

إن هاجس الاحتكاك بين حضارتي العرب والغرب كان يؤرِّق الكثير ؛ ظنًا منهم أن ذلك الاختلاط قد يفقدهم هويتهم العربية ويذهب مقوماتها ، إلا أن كان هناك فريقًا لم يستحوذ عليه هذا الهاجس ، وعمدوا على الاحتكاك والأخذ والعطاء في العلم والحياة ؛ مما جعلهم ينهلون من العلوم الغربية ويستغلوا طرائقها ومناهجها ، لتطبيقها على الأبحاث والدراسات العربية ، وخاصة البعثات التي كانت تسافر للتعلم والاحتكاك الحضاري .

ونتج عن هذا الاحتكاك ــ سواء عن طريق البعثات المصرية ، أو المستشرقين الذين تم انتدابهم للتدريس في الجامعة المصرية ــ تطبيق بعض المناهج الغربية على

الدراسات العربية ، وأول ما طُبق كان المنهج التاريخي ،وذلك بعد تحول الجامعة المصرية إلى حكومية عام ١٩٠٨م ([1])

وقد تطور المنهج التاريخي في مصر على يد المستشرقين والطلبة الذين عادوا من بعثات ألمانيا وفرنسا ، وكان د/ على عبد الواحد أول من كتب باستفاضة عن المنهج التاريخي ، ثم تتابعت الجهود والدراسات ، حتى صار ذلك الاحتكاك ذات ثمرة ناضجة بتطبيق دراساته على لغتنا الحبيبة.

وقد نشطت البعثات التعليمية نحو أوربا في النصف الثاني من القرن العشرين ،وكانت اللغة هي أكثر الحقول التي خضعت للتأثير والتأثر ، فاللغويون الذين عادوا حاولوا تطبيق ثمرات الغرب الأوربي على النحو العربي ، وبالرغم من تعدد تلك التطبيقات إلا أن بعض الباحثين المحدثين يحصرونها في ثلاثة مناهج : المنهج الوصفي ، المنهج التوليدي ، والمنهج الوظيفي .

أما عن المنهج التوليدي الذي نحن بصدده ؛ فقد انتقل إلى العربية في بداية السبعينيات من القرن العشرين ، أي بعد عقدين من ظهوره في الغرب ، ويمكن أن يكون ذلك بسبب هيمنة الدرس الوصفي على الدراسات العربية ؛ خاصة أن طلاب البعثات قد تتلمذوا على إيدي عملاقة المنهج الوصفي .

ولكننا لا ننكر دور العلماء الأوائل وجهودهم النابغة في دراسة اللغة العربية وتمحيصها ، فقد زخرت المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات اللغوية في كافة مستويات اللغة بداية من الأصوات والأبنية إلى التراكيب والدلالة ، وكل ما يتعلق باللغة العربية ، وجميعنا نعلم أن العصور الوسطي بلغ الإسلام ذروته العلمية والدينية ، بينما كان الغرب في عصور جهل دامس .

كانت الدراسات اللغوية ذات رصانة وبلاغة علمية ، وإن لم تعلن انتمائها صراحة إلى منهج بعينه ، أو دراسة بعينها ،فالمتأمل بدقة في تلك الدراسات سيجدها تحوي العديد من النظريات الغربية في باطنها ، هذا ليس من باب التقليل من شأن النظريات الغربية ، ولا من باب الانحياز لعلمائنا العرب ، ولكنه من باب الحيادية ،ولا يمكن أن نطبق

[1] ينظر: المنوال النحوي العربي ، قراءة لسانية جديدة ،د/ عز الدين مجدوب ، ط١ : ١٩٩٨م ، دار محمد علي الحامي للنشر – تونس ص ٢٢

نظرية على تراث عربي ، وإلا ويجب علينا تتبع آثارها في تراثنا ، ونتحرى هل لهـا وجود في تراثنا أم لا؟ ، والنظرية التوليدية التحويلية بالذات لها آثار بالغة في تراثنا.

حيث ترى الباحثة تطابق نظرية تشومسكي مع الكثير من المفاهيم اللغوية في التـراث العربي يمكن أن يُرد إلى اعتقادين وهما :

١ــ إن البحث في مجال واحد يساهم باحتمالية كبيرة في التناص العقلـي الجزئـي أو الكلي ، وتطابق بعض الآراء سواء بالاختلاف أو التوافق، فمن الطبيعي أن نجد تلاقي فكري بين مفكرين أو أكثر

٢ــ من الممكن أن يكون تشومسكي قد أخذ بالفعل بعض الأفكار من اللغويين والنحـاة العرب ،خاصة أنه قد تأثر باللغة العربية والعبرية خاصة ،وبعض اللغات السامية عامة ، فوالده كان أستاذًا في العبرية ، وقد اطلع تشومسكي في صغره على نحو العبريـة ، الذي كتب على نظام النحو العربي في العصر الأندلسي ، وأيضًا قد ترجمت الكثير من الدراسات اللغوية العربية القديمة إلى العبرية واللغات الأوربية ، فكل هذه أدلـة كافيـة على اطلاع تشومسكي على التراث العربي.

كما أن اللغة العربية كانت تُدَّرس رسميًا في جامعة باريس في القرن الرابع الهجـري ، والمدرسة الفرنسية " الباب العالي "في القرن السابع الهجري .[١]

ومن الأدلة الواضحة على تأثره بالتراث العربي ؛ رسالته للماجستير بعنوان " الـصيغ الصرفية في العبرية " ١٩٥١م ، فاللغة العبرية والعربية ذات فصيلة لغويـة واحـدة ، ومن البدهي أن يوجد بينهما عوامل لغوية مشتركة .

وليس بغريب أن يطلع الغرب على الثقافة العربية ، فالحضارة الإسلامية في العـصور الوسطى بلغت ذروتها في التقدم والرقي ، فليس من العجيب ، أن تترجم علومهم إلـى كافة اللغات ، فالمكانة التي تحظى بها اللغة الإنجليزية الآن ، هي نفس المكانـة التـي كانت تتمتع بها اللغة العربية في العصور الوسطى ، فحظيت بالعديد مـن الترجمـات والنقل ؛ للاستفادة من كافة العلوم العربية ويوجد صفوة من اللغـويين العـرب الـذين تحوي دراستهم مجموعة من المفاهيم الهامة التي تواكب حركة الدرس اللغوي الحديث.

[١] ينظر: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر النحوي الحديث ، د/ نهاد موسى ، ط: ١٩٨٠م ، المؤسسة العربية للنـشر ــ بيـروت ص٥٤ وما بعدها

المبحث الأول : الأنماط التحويلية في اللغة العربية: Transformational styles in the Arabic language:

إن دراسات العرب قد تناولت جميع المستويات :

١-المستوى الصوتي:

لقد أتقن العرب دراسة الأصوات العربية ، حتى شهد بعض المستشرقين أنه لم يسبق الأوربيين في دراسة الأصوات إلا العرب والهند .

فقد تناول العرب الأصوات بدراسة مخارجها وصفاتها ومدارجها ؛ و تتجلى هذه الدراسة فيما ألفه الخليل بن أحمد في كتابه العين ، وغيره من اللغويين الأجلاء مثل : سيبويه والمبرد وابن جني وابن سينا والفارابي .

فقد أبدع العرب في دراسة الأصوات العربية دراسة مجردة خالصة بغض النظر عن إيرادها في سياق محدد " الدراسة الفوناتيكية "Phonetic study" ، ودراسة التغيرات الصوتية التي ترد في سياق محدد مثل الإقلاب والإدغام " الدراسة الفونولوجية Phonological study"

٢-المستوى الصرفي:

كما أجاد العرب في دراسة الصرف والاشتقاق والصيغ الصرفية وأوزانها.

٣-المستوى التركيبي:

كما أتقن العرب الدراسة النحوية ،وظهرت لديهم مدارس لغوية لا تقل شأنًا عن المدارس اللغوية الغربية مثل : مدرسة البصرة والكوفة ومدرسة بغداد ، والمدرسة المصرية والأندلسية .

أما دراسات العرب في الجانب الدلالي والمعجم ، فقد أنتجوا معاجم لغوية ضخمة ، كما أن الرسائل اللغوية العربية تمثل ما عُرف في الدرس اللساني الحديث بالحقول الدلالية.

كما تناول العرب دراسة الترادف والمشترك اللفظي والأضداد والمعرب والدخيل ..... إلخ

إن هذا الكم الهائل من المؤلفات والدراسات العربية دليل واضح على جهود العرب وقدراتهم العقلية ،ولا مراء في أن الغرب اطلعوا على مؤلفاتهم وطريقتهم وأسلوبهم البناء.

أوَّلًا: أسس النظرية التوليدية التحويلية وملامحها عند النحاة العرب :

١ــ الفطرة اللغوية :The linguistic instinct:

قد استُخدمت الفطرة اللغوية ــ التي بنى تشومسكي عليها نظريته ــ عند العرب تحت مصطلحات عدة منها : **الملكة والفصاحة والسليقة** ؛ وجميع هذه المصطلحات تعني تعلم اللغة دون معلم أو تكرار ، وهي مضادة للحن الذي ساد على لسان المولدين .

والفصاحة عند النحاة القدامى أيضًا تتضمن معنى السليقة أو الفطرة ،وبواسطة بعض المقابلات التي وضعها الجاحظ بين عدة مفاهيم يتضح هذا المفهوم حيث قال " فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل ، جعل الفصاحة واللكنة ،والخطأ والصواب ، والإغلاق و الإبانة ،والملحون والمعرب ، كله سواء ، وكله بيانًا" ([1])

إذًا نستنتج مما سبق ان السليقة عند العرب : هي العفوية في الكلام والرد والفهم ، والجرجاني تحدث عن هذه السليقة وضرب مثالًا عليها ، حينما سمع أعرابيُ المؤذنَ يقول " أشهد أن محمدًا رسول الله " بنصب رسول وليس رفعها ، فقال العربي إن الكلام غير تامٍ ، بالرغم من جهل العربي بالمصطلح النحوي " خبر أن " ، بل عرفها بالسليقة وفطرته اللغوية العربية .[2]

وأيضًا الفطرة اللغوية جاءت تحت مسمى الفصاحة عند الفارابي ، وعدّها مضادة للحن والخطأ.

أما عند ابن خلدون جاءت تحت مسمى الملكة ، وهي تعني الفصاحة أيضًا ، وإن كانت أعم من الفصاحة ؛ حيث الملكة عند القدامى لا يشترط تعلمها في الصغر ، بينما الفصاحة يشترط تعلمها في الصغر ، ولكن ما يهمنا أن غاية الملكة والفصاحة والسليقة واحدة ؛ وهي إجادة الكلام وعدم انحرافه عن الطبيعة اللغوية ، بيد أن السليقة والملكة يقصدان بهما تعلم أي شيءٍ بالفطرة وليسا مقتصران على اللغة فقط ، بينما الفصاحة خاصة باللغة فقط لا غير.

---

[1] البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ) ج١ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط : ١٩٥٤م ، القاهرة ص١٦٢.

[2] – دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) ، علق عليه : محمود محمد شاكر ، ط٣ :١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م ، مطبعة المدني ــ مصر ص٤١٩.

ولا يخفى علينا أن تشومسكي فرق بين الحدس اللغوي لدى ابن اللغة ، والحدس اللغوي لدى الألسني .وفي نفس النقطة اتفق معه ابن خلدون عندما ذكر "إن العرب أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها ، وحملناه عليها " ([1])

وهو يعني بذلك أن الباحثين اللغويين أدركوا بحدسهم وسليقتهم العربية ؛ علل الكلام وأغراضه فكشفوا عنها، ووضحوا ما تكنه أنفسهم من مقاصد وعلل.

وقد أيد كلامه عندما ورد ما حكاه الأخفش (ت ٢١٥هـ) مع أعرابي عندما ألقى عليه سؤالًا :ما تصغير الحُبارى ، فقال حُبرُور ، وهذه الإجابة من قصد الغرض ، ولكنه لم يحفل باللفظ ؛ حيث إنه لم يفهم قصد أبي الحسن ، فجاء بالحُبرور ؛ لأنه فرخُ الحُبارى.

فقد تلقى الأعرابي سؤال أبي الحسن بغرضه عند العامة مثله ،ولكنه لم يهتم بصناعة الإعراب التي هي لفظية ، ولقوم مخصوصين من بين الناس كافة .([2])

إذن إن قضية السليقة عند العرب تقترب في المفهوم العام مع الفطرة اللغوية عند تشومسكي ، ولكنهم لم يعدّوا اللغة العربية مجرد لغة ضمن الكليات اللغوية ، وهذا من باب المحايدة ، وهذا لا ينفي أن يكون تشومسكي قد اطلع على تراث العربي وأخذ منه ، فلا حرج أن يكون أخذ الفكرة وطورها ، وأقام عليها نظرية كاملة .

أما في قضية الاكتساب اللغوي :

إن اللغويين العرب انقسموا إلى فريقين في قضية نشأة اللغة :

١ــ الفريق الأول :

يرى هذا الفريق أن اللغة العربية توقيف و إلهام من عند الله ، مثل أحمد ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، فهو يتعصب للغة العربية ، ويرفض أن تكون اصطلاحًا .

واستدل أصحاب هذا الفريق بالآية " وعلم آدم الأسماء كلها "[3] ، فهو يعد أن اللغة الإنسانية الأولى هي اللغة العربية ، ولكن من باب الحزم ، لا يوجد نص صريح يدل على أن اللغة الذي تعلمها سيدنا آدم إنما هي اللغة العربية ، والدليل على ذلك يوجد العديد من تعصبوا للغاتهم واعتبروها هي اللغة الأولى.

---

[1] – الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢) ج١ ، تحقيق : محمد على النجار ، د.ت ، المكتبة العلمية ص ٢٣٧.

[2] – الخصائص ج٢ ص٤٦٦.

[3] –- البقرة من الآية ٣٠.

وأنا أرى من جانبي أن لا يوجد نص جامع من الكتب السماوية أجمعها ؛ يدل على أن لغة بعينها هي اللغة الإنسانية الأولى ، كما أننا لا نهتم بأي لغة هي التي كانت اللغة الأولى ؛ بل نبحث ونكبد بالبحث عن الطريقة التي تعلم بها الإنسان اللغة ؛ أي " مرحلة الاكتساب اللغوي "

وفي هذا الجانب أيضًا تحدث ابن فارس في كتابه الصاحبي في باب " باب القول في مأخذ اللغة " ؛ فقد ذكر أن اللغة تؤخذ اعتيادًا ، وضرب مثلًا للطفل العربي الذي يسمع اللغة من أبويه ويتعلمها ، فاللغة العربية عنده بوجه عام تؤخذ تلقناً ، وسماعًا من ذي الصدق والأمانة (الثقات).

فهو يصرح بطريقة غير مباشرة أن اللغة الأولى جاءت بالإلهام ــ بغض النظر عن تحديده للعربية دون غيرها ــ ومن ثم يتعلم الإنسان لغته من المحيط والبيئة .

وترى الباحثة أنه لا حرج على أنصار الفريق الأول في قضية نشأة اللغة الإنسانية ، أن يجمعوا بالرأي السابق في قضية الاكتساب اللغوي ؛ لأن اللغة الأولى هي من عند الله ، ولكن أيضًا لا يمكن تجاهل دور البيئة والمجتمع في اكتساب اللغة ، فلو لو وضعنا إنساناً في غابة لوحده لم يصدر أية لغة ، لعدم احتكاكه بذويه من بني آدم.

٢- الفريق الثاني :

يرى هذا الفريق من اللغويين العرب أن اللغة هي اصطلاح من الجماعة اللغوية الواحدة ، وعلى رأسهم ابن جني ، فقد تناول هذه القضية في كتابه الخصائص تحت باب " باب القول على أصول اللغة إلهام هي أم اصطلاح " [١]

عرض ابن جني الآراء السائدة حول أصل اللغة الإنسانية وفندها ، وهو من أنصار أن أصل اللغة هو الاصطلاح والمحاكاة ، على الرغم من أن أستاذه أبو على الفارسي هو من أصحاب الرأي السابق ، ولكن بعد حلقات من البحث والتنقير ، وجد في نفسه ــ ابن جني ــ اعتقاد أنها وحي من الله .

٢ــ القواعد الكلية :

إن طريقة النحو التوليدي في القواعد الكلية ؛ صارت على نهج أن : دراسة قواعد لغة بعينها دراسة موضوعية دقيقة ، تمكننا من التوصل إلى القواعد المشتركة بين لغات العالم .

[١] - الخصائص ج١ ص ٤٠ وما بعدها .

وقد نادى بهذه الفكرة ابن جني " فإن العجم العلماء بلغة العرب ... فإن قواهم في العربية تؤيد معرفتهم بالعجمية ... لاشتراك العلوم اللغوية واشتباكها وتراميها إلى الغاية الجامعة لمعانيها" [1]

فقد فقه ابن جنى إلى العوامل المشتركة بين اللغات ، كما اتبع تشومسكي نفس طريقته ؛ وهي الخلوص من قواعد لغة خاصة إلى القواعد العامة ، عكس طريقة التصنيف النوعي العام ؛ التي تتناول مجموعة من اللغات لا تنتمي لفصيلة لغوية واحدة ، للتوصل من خلالها إلى العوامل المشتركة والمختلفة بين هذه اللغات.

٣ــ الجمل الأصولية والمقبولية :

إن مصطلح الكفاية اللغوية عند تشومسكي ؛ هو معرفة الإنسان بقواعد لغته ، نتج عنها التمييز بين الجمل الأصولية وغير الأصولية ، والجمل الأصولية والجمل المقبولية .

فالجملة الأصولية هي الجملة التي تسير وفق القواعد الضمنية للغة عينة الدراسة ، والغير أصولية هي التي تنحرف عن تلك القواعد، سواء كان ذلك الانحراف دلاليًا أو صوتيًا أو نحويًا .

واعقب ذلك الحديث بالتحدث عن مقبولية الجملة ، فالمقبولية مرتبطة بالأداء اللغوي ، حيث يقبل ابن اللغة جمل بعينها عن غيرها ، ولكن الأصولية خاصة بالكفاية اللغوية ، وهي أعم من المقبولية ، فقد تكون الجملة أصولية ولكنها غير مقبولة لغويًا.

بينما علماء العربية قد عبروا عن أصولية الجملة بالتفرقة بين الحقيقة والمجاز وفي ذلك قال سيبويه " هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة ، فمنه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب . فأما المستقيم الحسن فقولك (أتيتك أمس وسآتيك غداً) ، وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول : أتيتك غداً ، وسآتيك أمس . وأما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل ، وشربت ماء البحر ونحوه . وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه ، نحو قولك : قد زيداً رأيت ، وكي زيداً يأتيك ، وأشباه ذلك . وأما المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس " [2] ، فهذا النص يوضح لنا عقلية سيبويه تلك العقلية المحللة التي كان يمتلكها ، فبواسطة كفايته وحدسه اللغوي ، استطاع أن يقسم الكلام بما يوافق لغتنا ،

---

[1] – سر صناعة الإعراب ج١ ، ابن جني ، ط: ١٩٥٤م ، القاهرة ص ٣ وما بعدها.

١٠- الكتاب ج١، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت١٨٠ه) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٣: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م ، مكتبة الخانجي - القاهرة ص٢٥ وما بعدها

فقد تم قبول المستقيم الحسن ، ورفض المحال ، وعزى الكذب إلى المجاز خاصة المسوغات والصور الشعرية ، وما الصور الشعرية إلا جمل كاذبة دلاليًا ، ورفض المستقيم القبيح لعدم توافقه مع قواعد النحو ، ونفوره من المحال الكذب لتنافر ألفاظه ، فمعنى أولها يناقض معنى آخرها.

فهذه النظرة العميقة للكلام وأقسامه هي أبلغ من نظرة تشومسكي .

كما أن المبرد أشار إلى المعنى و صحة الجملة بقوله " وهذا باب إنما يصلحه ويفسده معناه ، فكل ما صلح به المعنى فهو جيد ، وكل ما فسد به المعنى مردود"[1]

٤ــ البنية السطحية والبنية العميقة :

إن اللغة الإنسانية تتفوق على جميع نظم الاتصال عند الكائنات الحية ،حيث إنها تتميز بثنائية التركيب فهي تتكون من الصوت والمعنى ، والجوهر اللغوي يكمن في كشف العلاقة بين الصوت

والمعنى .وقد عمد تشومسكي على كشف جوهر اللغة ، وعلى هذا الأساس بنى نظريته التوليدية التحويلية .

إن مفهوم التحويل في الدرس اللساني الغربي قد اتبعه فرضيتين في غاية الأهمية ، وهما البنية السطحية والبنية العميقة ، فالتحويل عند تشومسكي وأتباعه هو عملية تغيير بنية لغوية إلى بنية لغوية أخرى بواسطة قانون تحويلي واحد او أكثر . والبنية العميقة هي بنية مجردة منطقية ، بينما البنية السطحية هي بنية صوتية ممثلة للبنية العميقة ، والقواعد التي تربط بين البنيتين هي قواعد تحويلية .

والذي دعا تشومسكي إلى هاتين الفرضتين هو الغموض ، ولكن لابد من توضيح أنواع الغموض ، ومن ثم نوضح الغموض الذي بسببه أيدت نظرية تشومسكي .

هناك ثلاثة أنواع من الغموض هي [2]

١ــ الغموض الصوتي :

هو الغموض الذي يقع نتيجة التغيرات الصوتية مثل : النبر stress ، والتنغيم Intonation ، والفواصل Junctures ، الإقلاب ، والإدغام ، والإعلال بالقلب

[1]– المقتضب ج٤، لأبي عباس بن يزيد المبرِّد (ت٢٨٥ه) ، تحقيق عبد الخالق عظيمة ، د. ط ، ١٤١٥ه ـــــ ١٩٩٤م ، ص٣١٠.

[2] – ينظر : العربية والغموض(دراسة لغوية) ،د/ حلمي خليل ، ط٢ : ٢٠١٣م ،دار المعرفة الجامعية ــ الاسكندرية ص ٢٥ وما بعدها.

والحذف وغيرها من التغيرات الصوتية التي لها دور فونولوجي في التفريق بين معاني الكلام.

٢ــ الغموض في الاشتراك اللفظي :

وقد لاحظ اللغويون الغموض في المفردات مثل ابن فارس وضح عن ذلك بقوله " ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام... وأن يسموا المتضادين باسم واحد ، سموا الجون للأسود والجون للأبيض "[١]

٣ــ الغموض التركيبي :

ــ **أطعمتُ زيدًا باسمًا** ، فهذا التركيب يحمل دلالتين وهما :

ــ**أطعمتُ زيدًا وأنا أبتسمُ** ، أي الحال من الفاعل.

ــ أطعمتُ زيدًا وهو يضحك ، أي الحال من المفعول به . ، وهذا الرأي وفقًا لتحليل تشومسكي وهو أقرب للصواب.

والغموض التركيبي هو الذي عزز فكرة البنية السطحية والبنية العميقة لدى تشومسكي ، وهذه

الفكرة بالذات لا تخفى عن النحاة القدامى ؛ لأن اللغة العربية بطبيعتها المتصرفة تميل أكثر للجوانب التحويلية ، كما أن النحاة العرب تناولوا فكرة العمق المقدر والسطح الظاهر ، وقد افترضوا وجود معيار أو أصل تجريدي وراء الكلام السطحي ، وجمعوا بين هذا الأصل التجريدي والتعبير الواقعي السطحي ، وجعلوا الأول أساسًا للثاني ، ولا يمكن إنكار أن المصطلحين الحديثين لم يتواجدوا لفظًا ، ولكن كتب أئمة النحاة مليئة بمعنى المصطلحين وتطبيقاتهما .

فنراهم في كثير من التفسيرات يرجعوا إلى التقدير والتأويل ، وما نظرية العامل والأصل والفرع التي ملئت كتب النحاة إلا ضربًا من البنية العميقة والبنية السطحية .

فالبنية العميقة اتخذت حيزًا في اللغة العربية أوسع من حيزها وتطبيقها في لغات الغرب ؛ فهي سر فك اللبس في الغموض الصوتي ، والغموض التركيبي ، والصرفي فاللغة العربية ثرية بالبنى العميقة والسطحية.

---

[١] –الصاحبي ، أبو الحسين بن زكريا (ابن فارس)، تحقيق : السيد أحمد صقر ، ط : ١٩٧٧م ، مطبعة عيسى الحلبي ــ القاهرة ص ١١٦ ــ١١٧.

وقد وضحت هذه الفكرة عند عبد القاهر الجرجاني ، عندما تناول نظرية النظم التي تعول على الجانب اللغوي الفلسفي المنطقي في شرح الكلام وتفسيره .

كما أن سيبويه أشار إلى معنى البنية العميقة ؛ فقد صرح في باب التعجب بقوله " هذا باب ما يعمل عمل الفعل ،ولم يجرِ مجرى الفعل ، ولم يتمكن تمكُّنَهُ وذلك بقولك : ما أحسن عبد الله ، زعم الخليل أنه بمنزلة قولك : شيءٌ أحسن عبد الله ، ودخله معنى التعجب وهذا تمثيل ولم يُتكلَّم به" [١]

واستعمل ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) مصطلح الأصل حيث قال :

والأصل في الفاعل أن يَتَّصِلا والأصل في المفعول أن ينفصلا

وقد يُجاءُ بخلاف الأصـــلِ وقد يَجيءُ المفعولُ قبل الفعل

وفي هذين البيتين يوضح ابن مالك أن أصل الفاعل أن يأتي متصل بالفعل ، والأصل في المفعول أن يأتي منفصل عن الفعل ؛ أي بعد الفاعل ، إلا أن قد يأتي المفعول بخلاف البنية العميقة " الأصل " مقدمًا على الفعل ، وكأنه يشير بطريقة لا إرادية إلى القانون التحويلي " إعادة الترتيب"

وهناك نصوصٌ كثيرة تدل على أن العرب لهم السبق في القول أن التراكيب ذات وجهين أو بنيتين.

كما أن ابن فارس أشار إلى الأصل والفرع للغة العربية ؛فالأصل عنده هو" أما الأصل، فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها ، ثم على رسوم العرب في مخاطباتها ، ومالها من الافتنان تحقيقًا ومجازًا "

والفرع عنده هو معرفة الأسماء والصفات ، كما أشار أن الناس على صنفين ؛ صنف شغل بالفرع ، وصنف شغل بالأصل والفرع ،وهذا يعد مرتبة عليا في الدراسات اللغوية [٢]

ثانيًا : الأنماط التحويلية في التراث العربي:

كما ذكرت سابقًا أن اللغة العربية غنية بالجوانب التحويلية، وسنوضح تلك الجوانب وندلل على زعمنا هذا ،وهذه الجوانب هي:

---

[١] – الكتاب ٧٢/١.

[٢] – ينظر : الصاحبي ص٣.

١ــ في المستوى الصوتي :

إن التحويل في المستوى الصوتي ينقسم إلى قسمين:

أ ــ في الجانب المنطوق :

تعالج البنية العميقة والبنية السطحية بعض التغيرات الصوتية الخاصة بالقراءة أو الكلام المنطوق مثل :

١ــ التنغيم :

أطلق عليها د/ إبراهيم أنيس موسيقى الكلام ،ووضح أن الإنسان لا يقرأ الأصوات المكونة لمقطع ما بدرجة متساوية ،بل لابد من الاختلاف والتنوع ، ويمكن اعتبار نظام تنوع درجات الصوت بالنغمة الموسيقية [١]

وهناك فرق بين اللغة العربية والإنجليزية في درجات التنغيم ، بينما تتبع العربية النغمة الصاعدة في الاستفهام ، فإن الإنجليزية تتبع النغمة الهابطة .

والتنغيم في الكلام يقابله الترقيم في الكتابة ، ولكن التنغيم يقوم بدور دلالي يحدد لنا سياق الجملة .

فالتنغيم في اللغة العربية في الاستفهام بجميع الأدوات يتبع نغمة صاعدة في آخر الحرف ، ولكن الاستفهام ب(الهمزة وهل) يتبعه نغمة هابطة ، والنفي والشرط والدعاء جميعهما نغمة صاعدة[٢]

٢ــ الإقلاب :

هو التأثيرات التجاورية في الإبدال الصوتي ، وهو في القرآن الكريم أكثر ؛ ويقصد بالإقلاب إذا سبقت النون الساكنة الباء في كلمة واحدة أو كلمتين متجاورتين أبدلنا النون والباء بالميم ؛ وهذا على الجانب المنطوق ، وليس في الكتابة مثل :قوله تعالى :

" أنبئهم بأسمائهم "[٣]

---

[١] – ينظر :الأصوات اللغوية ، لإبراهيم أنيس ، ط٤ :١٩٩٩م ، مكتبة الأنجلو المصرية ص ١٤٢ــ١٤٣.

[٢] – ينظر: أثر التنغيم في الدلالة ، د/ ليلى سهل، مجلة كلية الآداب العلوم الإنسانية والاجتماعية ــ جامعة خيضر ــ بالجزائر، العدد السابع ٢٠١٠ ص٧.

[٣] – سورة البقرة من الآية ٣٠.

الكلمة في البنية العميقة	الكلمة في البنية السطحية	قانون التحويل
أنبئهم	أمبئهم	حدث الإقلاب ؛ لاشتراك الباء والميم في بعض السمات الصوتية ، وهي الشفتين، واشتراك النون والباء في بعض السمات الخيشومية

٣ــ الإدغام :

يقصد بالإدغام ، اتحاد صوتين ونطقهما بصوت جديد غير مماثل لهما ؛ ويحدث الإدغام إذا سبقت النون الساكنة أحد حروف كلمة " يرملون " ، ومع أحد حروف كلمة " ينمو" يكون الإدغام بغنة ، بينما مع "رل " ، يكون بغير غنة مثل :

الكلمة في البنية العميقة	الكلمة في البنية السطحية	قانون التحويل
من يعمل صالحًا	ميعمل	حدث الإدغام ؛ لأن تحول صوت النون الساكنة مع الياء المتحركة بالفتح ، وتحول الصوتان إلى وحدة صوتية واحدة مع إخراج غنة من الخيشوم.

ب ــ في الجانب الكتابي :

١ــ الإعلال :

يدخل في هذا الجانب الإعلال والإبدال والقلب والعوض.

يقصد بالإعلال هو التغيرات الصوتية التي تطرأ على أحد حروف العلة " الألف /الواو / الياء " ، وتلحق الهمزة بهم ، والإعلال يحدث إما إعلال بالحذف أو التسكين أو القلب وفق قوانين صوتية ضابطة .

مثل:

البنية العميقة	البنية السطحية	الميزان الصرفي	القانون التحويلي
مَقْوُول	مقُول	مَفُعْل / مَفُول	وفقًا للقوانين الصوتية الخاصة باللغة العربية ، طرأت عدة تغيرات على تلك الصيغة (اسم مفعول):١ــ النقل : تم نقل الضمة من على الواو إلى الحرف الصحيح قبلها منعًا للثقل. ٢ــ الحذف : تم حذف إحدى الواوين ؛ لعدم التقاء ساكنين فنحن أمام اختيارين إما حذف واو صيغة مفعول فيصير وزنها مفعل ، أو حذف الواو الأصلية فيصير وزنها مفول.
بايع	بائع	فاعل	القلب :قلبت الياء همزة للتخفيف ؛ وذلك لأن الياء المكسورة وقعت عين لاسم فاعل أُعلت عينه وقبله ألف .

٢ــ الإبدال :

يقصد بالإبدال ؛ هو التغيرات التي تطرأ على أحد حروف الكلمة غير أحرف العلة والهمزة الملحقة، ويقصد به الإبدال الصرفي وليس اللغوي مثل :

البنية العميقة	البنية السطحية	الميزان الصرفي	قانون التحويل
اوتصف	اتَّصَف	افتعل	تم إبدال الواو بالتاء ، ثم تسكين التاء الأولى لعدم توالي مثلين ، ثم إدغام الحرفين .

إذن الإبدال الصوتي يتم وفقًا للقوانين الصوتية ، وطلبًا للخفة ، ومنعًا للثقل على القارئ.

٣ــ القلب:

يقصد بالقلب تحويل أحد أحرف العلة أو الهمزة إلى حرف آخر منهـا ، وفقًـا لقواعـد وقوانين الإعلال ، فهي محددة وليست اعتباطية ، والقلب له ثلاثة صور : قلب الحرف ، القلب المكاني ، قلب الحركة. .مثل:

البنية العميقة	البنية السطحية	الميزان الصرفي	قانون التحويل
سماو	سماء	فعال	القلب : قلبـت الـواو همـزة للمناسبة ؛ لأنها وقعت متطرفة بعد ألف زائدة
مِوْزَان	ميزان	مفعال	القلب : قلبت الواو ياء للمناسبة الصوتية ؛لأن إذا وقعـت واو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء

أما القلب المكاني :

يقصد به التغيرات التي تطرأ على ترتيب حروف الكلمة ،إمـا بالتقـديم أو التـأخير ، ويجب التنويه إلى أن ترتيب الحروف في بنيتها العميقة يكون ترتيبًا طبعيًا ثـم يحـدث التغيير خلال التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية.

حاول النحاة القدماء معرفة أسباب القلب المكاني وأصله ،على رأسهم سيبويه ، والمبرد فقد وضح فكرة القلب المكاني مثل "أينق في جمع ناقة ، وكان أصلها أنُوْق "[١]

أما القلب المكاني في اللغة الإنجليزية فقد أطلق عليه مصطلح "Metathesis" ففـي الإنجليزية القديمة إن كلمة bird أصلها bridd، وكلمة run أصـلها urnon ، و askأصلها aks[٢]

البنية العميقة	البنية السطحية	الميزان الصرفي	القاعدة التحويلية
أرآي	آراء	من أفعـال (ب. ع) إلى أعفال (ب. س)	القلـب : إن أصـل الكلمة هي : أرأاي ، ثم حث قلب مكـاني بين الـراء والهمـزة

[١] – المقتضب ١٦٨/١

[٢] – ينظر : النحو العربي والدرس الحديث ص١٤٦.

			المتوسطة فصارت أأراي ؛ فاجتمعت همزتان وكانت الثانية ساكنة فقلبت حرف مد من جنس الأولى (آراي) ثم قلبت الياء همزة لتطرفها بعد ألف زائدة، فأصبحت آراء.

٤ــ العوض:

هو حذف حرف ، والاستغناء عنه بحرف آخر ، دون التقيد بموضع أو حرف معين ،مثل : عدة أصلها وعدًا، لكن الإعلال هو خاص بأحرف معينة ، والإبدال أيضًا خاص بمواضع معينة.

إذن إن البنية السطحية والبنية العميقة في المستوى الصوتي ؛ هي من أجل فك الغموض الصوتي ،ولكن البنية السطحية لا تساهم في أي دلالة ، وهذا يتفق مع مفهومي البنية السطحية والعميقة في المرحلة المعيارية عند تشومسكي ١٩٦٥م.

٢ــ المستوى الصرفي :

يقصد بالصرف : أصغر وحدة لغوية ، والصرف والاشتقاق هما أصل التحويلات ، والتحويلات في الصيغ الصرفية عكس التحويلات في الجانب الصوتي ؛ حيث إن البنية السطحية في الصيغ الصرفية تساهم في الدلالة ، وبذلك تتوافق اللغة العربية في هذه النقطة مع مفهومي البنية العميقة والبنية السطحية عند تشومسكي في المرحلة المعيارية الموسعة ،حينما تراجع عن أفكاره السابقة ، وأقرّ أن الدلالة قد تقع في البنية السطحية ، وهذه النقطة قد اكتشفها النحاة القدامى منذ قرون مضت على النظرية ، فإن ابن جنى أدرك أن الزيادة في المبنى لها علاقة بالزيادة في المعنى [١]

فمثلًا على الرغم من أن صيغة فاعل تشتق من الأصل : فعل، إلا أن المعنى مختلف في الصيغتين .

[١] – الخصائص ٢٦٧/٣وما بعدها.

وأيضًا أقام القدماء مجموعة من الأسس عندما أشاروا إلى التحويل في الصيغ الصرفية وهي كما يلي [1]:

١ــ أقروا أن هناك أصل وفرع ، والأصل هو أساس الفرع ؛ فصيغة المبالغة عندهم هي متفرعة من اسم الفاعل؛ للتكثير

٢ــ تحويل الصيغ مرتبط بالدلالة ، وخاصة في تفسير الآيات القرآنية ، مثل " خلق من ماءٍ دافقٍ" [2]، فصيغة " دافق" هي اسم فاعل في اللفظ، واسم مفعول في المعنى؛ أي ماءٍ مدفوق .

٣ــ الضرورة الشعرية التي يضطر فيها الشاعر إلى اختيار صيغ صرفية أكثر شهرةً من غيرها

مثل قول الفرزدق:

نفي الدراهيم تنقاد الصيارف[3]

يقصد الدراهم والصيارف

حيث مطل الشاعر حركة الهاء وحركة الراء .

٤ــ استخدام المصدر " فَعْل " بمعنى مفعول ، وفيه يستوي المذكر والمؤنث، والواحد والجمع.

٥ــ قد تستخدم صيغة تفاعل بمعنى فعل مثل "تطاول الليل " ؛ أي طال.

إذاً نستنتج مما سبق أن أمهات الكتب عند النحاة واللغويين القدامى مليئة بالتطبيقات الفعلية الموسعة لنظرية تشومسكي في جميع مراحلها ، وخاصة بنيتي العميقة والسطحية بمختلف مفاهيمهما خلال مراحل النظرية ، والتحويل في الجانب الصرفي يمكن تقسيمه إلى :

- الاشتقاق والصيغ الصرفية
- على مستوى الكلمة.

---

[1] – وظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية ،د/ محمود سليمان ياقوت ، د. ط ، ١٩٨٥م ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ص ١٠ وما بعدها.

[2] – الطارق الآية ٦.

[3] – الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ج١، أبو البركات (الأنباري)، تحقيق : محمد عبد المجيد ، ط٤ : ١٣٨٠هـ ــ ١٩٦٠م ــ مطبعة السعادة للنشر ص ١٢١.

أ ــ على مستوى الكلمة (١) :

يندرج التحويل على مستوى الكلمة تحت باب الأصل والفرع ، وقد ذكرت سابقًا أن هذه القضية قد عولجت كثيرًا في النحو العربي ، ولكن في الدرس اللغوي الغربي ، عدّ التحويليون أن الألفاظ التي بدون علامة unmarked هي الأصل ، لأقربها للبنية العميقة المجردة التي تمتاز بكونها أقل عددًا وأكثر تجريدًا، بينما الألفاظ المعلمة marked هي الفرع مثل : play – played ؛ فإن الفعل المصدري هو الأصل بينما المضاف له علامة الماضي البسيط هو الفرع ، كذلك :book- the book؛ فالكلمة غير المعرفة هي الأصل .

أما دراسة أئمة النحاة لهذه القضية عامة والألفاظ خاصة ، فهي دراسة لا تقل شأنًا عن الغرب ، فالأصل والفرع عندهم يندرج تحتها ما يلي :

١ــ النكرة والمعرفة :

أجمع النحاة على أن النكرة أصل المعرفة [١] .

٢ــ المذكر والمؤنث:

أجمع اللغويون القدامى على أن المذكر أصل والمؤنث فرع ، وأن المذكر أشد تمكنًا من المؤنث [٢]

٣ــ الإفراد والجمع والتثنية :

أجمع النحاة القدامى أيضًا أن المفرد / الواحد هو الأصل ، وما عدا ذلك من جمع بكل أنواعه ، والتثنية فهي فرع([٣])

ب ــ الاشتقاق :

إن التحويل واضح بدقة في الاشتقاق والصيغ الصرفية ؛ حيث بواسطة جذرٍ واحدٍ تتفرع صيغ صرفية متعددة الصيغ والمعنى ، فكأنما هناك شجرة أم حولها العديد من الشجيرات الصغيرة ، وانطلق أصحاب المعاجم من هذه الفكرة ، فربطوا بين الجذر اللغوي وصيغه المتعددة، وذاك التحويل من الأصل إلى الصيغ الفرعية إنما لمعانٍ

---

[١] -للمزيد للنصوص الدالة على ذلك ينظر :الكتاب ٥/٢ ، المقتضب ٢٧٦/٤، والخصائص ٤١٥/٢

[٢] – ينظر : الكتاب :٣/ ٢٤١ وما بعدها ، المقتضب :٣٥٠/٣ ،الخصائص ٤١٥/٢ ، شرح المفصل ج٣، لابن يعيش (ت٦٤٣هـ) ، تحقيق : د/ إميل يعقوب ، ط١: ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١ ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ص٣٥٢.

[٣] ــ المقتضب ٢/ ١٠٣ ، شرح المفصل ٢٢٩/١.

مقصودة ، وليس بعشوائية ، وهنا البنية السطحية تساهم في دلالة الصيغة ، ويمكن توضيح الصيغ ودلالتها كالآتي:

١ــ صيغ الفعل ودلالتها .

٢ــ صيغة اسم الفاعل.

٣ــ صيغة المبالغة .

٤ــ الصفة المشبهة.

٥ــ اسم المفعول .

٤ــ المصادر.

البنية العميقة	البنية السطحية	الميزان الصرفي	قانون التحويل	الدلالة
جرب صبح	أجرب أصبح	أفعل أفعل	زيادة الألف	تفيد الألف الصيرورة والتعدية
ذبح	ذبَّح	فعَّل	التضعيف	يفيد التكثير
حجر	حجَّر	فعَّل	التضعيف	يفيد صيرورة شيء شبه شيء مثل : حجّر الطين.، كما تدل على اختصار الحكاية مثل : كبّر ، والقبول مثل : شفَّع. كما يفيد التعدية أيضًا
طلب	طالب	فاعل	زيادة الألف بعد فاء الفعل	تدل على من قام بالفعل
طُلِبَ	مطلوب	مفعول	بالزيادة	
غفر	غفور	فعول	بالزيادة	هي تشتق من الفعل ، لتدل على معنى اسم الفاعل بكثرة

٣ــ في الجانب التركيبي :

إن الجوانب التحويلية في التراكيب العربية فجرت عدة قضايا تناولها اللغويون القدامى والمعاصرين ، وأولها هي قضية الرتبة ؛ حتى تتضح البنية العميقة لتراكيب اللغة ، ولمعرفة البنية المحولة عنها ، ومن ضمن هذه القضايا أيضًا قضية العامل في اللغة العربية، ومن ثم سنعرض القواعد التحويلية في التراكيب العربية، وسنعرض جميع هذه القضايا بإيجاز غير مخلٍ.

أ ــ الرتبة:

تحدث تشومسكي عن قضية الرتبة في اللغات الإنسانية ، أثناء حديثه عن نظرية المبادئ والوسائط ــ عقب المرحلة المعيارية الموسعة ــ فوضح أن اللغات تتنوع في قضية الرتبة ، فهناك فئة من اللغات تبدأ بالرأس ثم المكملات ، وفئة أخرى تكون العكس.

من المعروف أن قواعد أية لغة ما لابد ان تتسم بعدة سمات وهي:

١ــ المحدودية :

حيث يجب ان تتكون أية لغة من قواعد مقتصدة ينتج عنها عدة تراكيب غير مقتصدة.

٢ــ الثبوتية والتجريد :

فلابد ان تكون القواعد اللغوية ثابتة والتراكيب متغيرة ، ولابد أن تكون بنيتها الداخلية مجردة .

٣ــ التكرارية :

لابد أن تتسم هذه القواعد بالقدرة على تطبيقها أكثر من مرة ، وتوليد العديد من الجمل مثلًا : قاعدة الإسناد :

مبتدأ + خبر ؛ يمكننا تطبيقها آلاف المرات وفي كل مرة تنتج جمل مختلفة .

وقد صنف النحاة القدامى جميع التراكيب العربية المنطوقة إلى بنيتين مجردتين كبريين وهما :

(الجملة الاسمية ، الجملة الفعلية)

وهناك شروط متعددة لإدراج أي تركيب تحت إحدى هاتين الجملتين مثل : الحذف وإعادة الترتيب والزيادة، وعدّ النحاة أن ما خرج على هذين النمطين فإنه محال ،

ولكن بعض الجمل قد تكون خالية من الفعل ، ولكن يعتبروها فعلية من باب التقدير والتأويل مثل أسلوب الاختصاص ، والمصدر النائب عن الفعل مثل : إتقاناً لا خمولاً.
وقد تكون الجملة خالية من المبتدأ والخبر ويعتبرونها اسمية من باب التأويل مثل " فصبرٌ جميلُ"
أما التحويليون المعاصرون ظلوا ينقبون بالبحث حول أصل واحد للجملة العربية إما فعلية أو اسمية ، وعلى الرغم من أنها فكرة المعاصرين ، إلا إننا نجد بعض الإشارات في التراث النحوي إلى أن الجملة الفعلية هي الأصل ، مثل قول الكوفيون بجواز تقديم الفاعل على الفعل ، وهذا ما تعده مدرسة البصرة جملة اسمية ، وأيضًا قول عبد القاهر الجرجاني إن أصل الرفع أن يكون للفاعل ، وأن المبتدأ فرع عليه [1]

ب ــ العامل :

إن فكرة العامل تتضح عند مدرسة تشومسكي من خلال تأكيدهم على أن وظيفة النحو هي الربط بين البنية العميقة والسطحية ، وأن البنية العميقة هي التي الجانب المنطقي والإدراكي في اللغة ، وهي التي تكشف علاقة مكونات التركيب ببعضها البعض باعتبارها علاقة تأثير وتأثر وليست وظائف نحوية فقط، ومما لا مراء فيه أن عملية التحليل اللغوي يجب ألا تخلو من قضية العامل ،
وقد عمد التحويليون إلى تحليل العناصر اللغوية وفقًا لخضوعها تحت تأثير عوامل محددة يجب على اللغوي معرفتها أولًا .مثل :

–That Martin will fail his linguistic course is likely

- Martin is likely to fail his linguistic course -

ويرى التحويليون أن العامل في هذه الجملة هو كلمة (likely) ، فهي التي تؤثر في نظم الكلام ([2])
وقد تناول تشومسكي هذه القضية بالتفصيل في نظرية العمل ، بعد مرحلته الثالثة الموسعة عندما قرر أن نظريته تتكون من عدة قوالب فرعية .

[1] – المقتضب ٢/ ١٠٣ ، شرح المفصل ٢٢٩/١.
[2] – ينظر : النحو العربي والدرس الحديث ص١٤٧ــ ١٤٨.

وفكرة التحويل في تراثنا النحوي ، لا تختلف كثيرًا عن هذا المعنى الغربي ، وقد اختلف القدماء في العامل ، هل هو للمتكلم أم مضامة اللفظ للفظ أم باشتمال المعنى على اللفظ.

فالعامل في النحو العربي لا يقل شأنًا ولا أهمية من العامل عند تشومسكي وأتباعه وكانت نظرية العامل في كتب النحاة ، من أكثر الموضوعات تداولًا ، حتى أصبح لها مؤيدون ومعارضون .فقد تحدث سيبويه عن نظرية العامل وأثرها في مؤلفه (الكتاب) أما ابن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ) فقد ألغى النظرية برمتها ، دون الاعتماد على التقدير أو التأويل أو من وراء الأثر الإعرابي ، ويبدو أنه كان يتمسك بظاهر الكلام([1]) والعامل في النحو العربي ينقسم إلى قسمين :

عامل معنوي وعامل لفظي.

مما سبق نستنتج ان الجوانب التحويلية في لغتنا العربية ، لم تقتصر على الجانب التركيبي فقط ، بل تجاوزت ذلك الجانب إلى الجانب الصوتي والصرفي ، والمنطوق والمكتوب ، وفي جميع هذه الحالات والأنماط فإنه هناك عدة قواعد تحويلية هي المسئولة عن التحويل من الأصل (ب. ع) إلى الفرع (ب. س) .

وهذه القواعد هي نفس القواعد التي أقرها تشومسكي وذكرتها في الفصل الثالث من هذه الدراسة ، وهي :

الحذف ، التعويض / الإحلال / الإبدال ، إعادة الترتيب / التبادل / النقل ، الزيادة ،والتوسع ،الامتداد، التقلص ، الدمج .

المبحث الثاني : الأنماط التحويلية في ديوان حسان بن ثابت:

Transformational styles in the divan of Hassan bin Thabet:

بعد العرض الموجز في الفصول السابقة لنظرية تشومسكي ، وتتبع آثارها في التراث العربي ، سنحاول جاهدًا تطبيقها على ديوان سيدنا حسان بن ثابت ، ونقم بتحليل التراكيب المحولة عن بنية عميقة ، وسنتناول تراكيب الاستفهام التصويري والتصديقي ، وتراكيب الأمر ،وأساليب النفي والنهي ، والشرط ، والنداء والترجي في قصائد حسان بن ثابت ذات قافية الألف والباء .

[1] – الرد على النحاة ، لابن مضاء القرطبي ، تحقيق محمد البنا ، ط١ : ١٩٧٩م ،دار الاعتصام القاهرة ، ص ٦٩: ١٢

وسيتم تحليل بيت أو اثنين لكل نوع من التراكيب السابقة ، وتوضيح البنيـــة الـــسطحية والبنية العميقة لكل تركيب.

١ــ التراكيب الإنشائية في ديوان حسان بن ثابت :

إن التراكيب في اللغة العربية تنقسم إلى تراكيب إنشائية ، وتراكيب غير إنشائية .

والتراكيب الإنشائية هي التراكيب التي لا تحتمل الصدق أو الكذب ، لعدم تواجـــد ذات خارجية تدل عليه قبل النطق به ، ومن التراكيب الإنشائية في اللغة العربية ما يلي :

ــ الاستفهام ، الأمر،التمني ،الترجي ، النداء ا،النهي ، التعجب ،القسم والمدح والذم

فجميع هذه التراكيب لا يوجد لها حقيقة خارجية تدل على صدق الكلام أو كذبه ، وقسم علماء العربية الإنشاء إلى قسمين :

أ ــ تراكيب الإنشاء الطلبي :

وهي (الاستفهام ، والأمر ، والتمني والترجي ، والنداء والنهي) .

ب ــ تراكيب الإنشاء غير الطلبي :

وهي (التعجب ، والقسم ، والمدح والذم)

أولًا: تراكيب الإنشاء الطلبي(تطبيقًا على قصائد حسان بـــن ثابـــت "قافيـــة الألـــف والباء"):

١ــ تراكيب الاستفهام ([1]):

الاستفهام هو طلب حصول في الذهن ، وقسمه علماء اللغة إلى قسمين وعلى رأســـهم السكاكي :

أ ــ الاستفهام التصديقي :

يطلب فيه بأداتين هما : الهمزة وهل ،وتكون الإجابة بنعم في الإثبات أو لا في النفي

ب ــ الاستفهام التصوري:

يطلب فيه بالهمزة ــ فهي حرف استفهام تصوري وتـــصديقي ــ وأســـماء الاســـتفهام الأخرى .

لقد تنوعت التراكيب الاستفهامية التصديقية والتصويرية في ديوان حسان بن ثابـــت ؛ وستقتصر الدراسة على قافية الألف والباء.

[1] – مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦هـــ) ، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، ط١ :١٤٠٢هـــ ــ ١٩٨٢م ، دار الرسالة ــ بغـــداد ص ٥٢٤ وما بعدها.

إن هذا التركيب الاستفهامي ، هو بنية سطحية متحولة عن بنية عميقة " لتبلغ أبا سفيان عني" بواسطة عدة قواعد تحويلية وهي :

١ــ الزيادة :

تم زيادة المركب الاستفهامي (الهمزة + النفي) = ألا

٢ــ الحذف الإجباري :

تم حذف المسند إليه (أنت) إجباريًا ، كما تم حذف التنغيم الصوتي الصاعد الدال على التوكيد إجباريًا.

٣ــ الإبدال /الإحلال :

حل التنغيم الهابط الدال على الاستفهام بالهمزة ، محل التنغيم الصاعد الدال على التوكيد، وحل المركب الاستفهامي محل لام التوكيد ؛ لأن البنية العميقة للجملة

٢ــ تراكيب الأمر :

وردت تراكيب الأمر بكثرة في ديوان سيدنا حسان ، ولكنني اقتصرت على جميع القصائد بقافية الألف والباء ، وقد جاء الأمر في هذه القصائد بصيغة فعل الأمر في جمل بسيطة ومركبة ، وبصيغة اسم الفاعل ليدل على الأمر، وصيغة أفعل والنوع الأول يمثل الصيغة الأكثر شيوعًا. مثل

تم تحويل هذه الجملة من البنية العميقة ــ وقد قدر التوليديون البنية العميقة لصيغة الأمر بالفعل الماضي ــ (شكى العبد الهموم إلى الإله) إلى البنية السطحية (واشكُ الهموم إلى الإله) بواسطة عدة قواعد كما يلي :

١ــ الحذف :

تم حذف صيغة الماضي (شكى) ، وتم حذف الفاعل في البنية العميقة وهو العبد ، كما تم حذف الضمير في البنية السطحية وجوبًا

٢ــ الإحلال :

حلت صيغة فعل الأمر اشكُ ، بدلًا من الماضي لتدل على الأمر، وتم حذف حرف العلة وجوبًا ، وحل الضمير محل الاسم الظاهر.

٣– تراكيب النفي والنهي :

كثرت تراكيب النفي والنهي في قصائد سيدنا حسان ، فهناك النفي ب(لا) ، و(لم) ، والفعل الناسخ الناقص (ليس) ، كما أن النهي اقتصر على صيغة (لا).

والنماذج التحليلية لتراكيب النفي كما يلي :

تم تحويل تركيب النفي السابق من البنية العميقة(تلد النساء أجمل منك) إلى البنية السطحية بواسطة :

١ــ الزيادة :

تم زيادة أداة النفي الجازمة لم ، للدلالة على النفي .

٣ــ التقديم :

تم تقديم مركب (أجمل منك) على الفعل.

٤ــ الإحلال :

حلت علامة الإعراب (السكون) مكان الضمة في البنية العميقة، وحلت النغمة الصاعدة الدالة على النفي ، محل النغمة الهابطة.

تم التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية بواسطة :

١ــ الحذف الإجباري :

تم حذف المركب الاسمي الظاهر (الكفر) ، حذفًا اختياريًا ، كما تم حذف الضمير الدال على الاسم الظاهر.

٢ــ الزيادة : تم زيادة الفعل الناسخ ليس للدلالة على النفي ، وتم زيادة حرف الجر للتوكيد.

٣ــ الإحلال :حلت الكسرة في (طاهر) محل الفتحة بتأثير من حرف الجر الزائد الباء.